الآثار المطبوعة (تابع)

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

في القوى الادبية

تعريفها: القوى الادبية هي بعض خواص للنفس لا يحصل صنع ادبي الا عن اجتماعها . وهي العقل والحس والخيال والذوق . فمن جمعها جمع بين القريحة والفطنة والذكا .

الفصل الاول

في العقل — التصور

العقل — التصور — العقل هو القوة التي بها تحصل التصورات . والتصور هو استحضار صورة الشي في الذهن ، فلا تستطيع ان تتصور رجلا او شجرة بسوى العقل . وبالواقع انك تدرك صفات هذا الرجل واشكال هذه الشجرة الخاصة بها فتعرفها بها .

الفكر — فالعقل بما هو عليه من قوة الادراك يقابل بين تصورين حصلا فيه وينظر في ما لو كان بينهما علاقة متبادلة مثلما لو حصل عندك تصور انسان وتصور الحرية فتقابل بين هذين التصورين وتجد بينهما مطابقة كاملة فتحكم بديهيا ان الانسان حر ، وبخلاف ذلك تحكم ان الحيوان ليس بحر ، بما انك لم تجد شيئا من المطابقة بين الحيوان والحرية فانك على كلتا الحالتين تبرز حكما . وهذا الحكم إما بثبوت المطابقة بين التصورين ويقال له الايجاب وإما بنفيها ويقال له السلب . فكل حكم على هذا الشكل يعبر عنه باللسان او بالكتابة ويسمى تصديقا او فكرا . غير انه لا فرق في عرف الادبا بين الفكر والتصور ، او انهم يستعملون الفكر بمعنى التصور والتصور بمعنى الفكر مجازا .

الانتقال الفكري — ويسمّى القياس . لا يكتفي العقل بمقابلة تصوّرين بسيطين بل يقابل بين فكرتين او تصديقين فيستخرج من هذه المقابلة فكرًا جديدًا يسمّيه الحاصل او التالي ، وهذا ما يسمّى الانتقال الفكري. فلو فرضنا هذه القضية وهي: الناس محكومٌ عليهم بالموت . ثمّ هذه القضية الثانية وهي: سقراط انسان فيلزم عن ذلك بالضرورة ان سقراط محكومٌ عليه بالموت .

صفات التصوّرات — اهمّ صفات التصورات الصراحة. والصواب. ومما يقتضي ان ننتبه اليه هو ان نفرق بين التصور والصورة . فالاول هو استحضار الشيء استحضارًا عقليًا محضاً . والثاني هو استحضار الشيء استحضارًا محسوساً فقط . فهي لا تُمثّلُ لنا سوى الشكل الخارجي المادي كالالوان والخطوط والحركة والاشارة ، غير ان الصورة توافق التصور ، فانه يتنع او يصعب جدًا ان يكون لنا تصوّرٌ عن انسانٍ من غير ان تؤثّر صورته في حواسنا او في حاسّاتنا .

فالتصور الصريح هو ما مثّل لنا شيئاً تمثيلًا تسهل معرفته بـه والّا كان غامضًا . فانه تصوّري الحيوان يكون صريحًا اذا ما فرقته بالواقع عن النبات والانسان فورَ رؤيته :

اما التصور الصحيح فيمثّل طبيعة الشيء . ولهذا يسهل علينا ان نعرفه ونعيّن خواصه الجوهرية الفارقة . فانك اذا مـا تصوّرت الحيوان يكون تصوّرك له صحيحاً متى عرفت انه يفارق النبات بالحركة وبالمعرفة ويفارق الانسان بحرمانه من النطق والحرية . ومن الضروري ان تكون تصوراتنا صحيحةً لئلا يتولد منها احكامٌ فاسدة .

صفات الافكار — يقتضي ان يكون كل فكر صحيحاً صريحاً ، ويكون ايضاً بالنظر الى المواضيع او الكتّاب فطريًا دقيقاً مبتكرًا عميقاً متقحماً ساميًا .

صحة الفكر — الفكر الصحيح هو ما دلّ عـلى المطابقة او اللامطابقة الواقعة فعلًا بين طرفيه ، مثل قولك : الله صالح . فهذا الفكر صحيحٌ وعكسه فاسدٌ .

وذهب احدهم ان بين الفكر الصحيح والحقيقي فرقًا . فالفكر الصحيح هو ما كان مطابقاً الواقع مطابقةً كاملةً من كل الاطراف كما لو قلنا : الانسان

يموت. فان قضيتنا هذه صادقة على اطلاقها. واما الحقيقي فقد لا يطابق الواقع الا بنوع عام او بالنظر الى وجه خاص لا يمنع الاستثنا. منه ويكون صادقاً بالاضافة لا على الاطلاق .

والفكر الصريح هو ما كان التعبيرُ عنهُ يدلُّ على مطابقة التصوّرين بغير إعمال نظرٍ كقولك : يجب على المرء ان يحبَّ ابويه . فانه فكرٌ صريحٌ ، فالغموض يحصل من سوء التعبير وهذا من عيوب الانشا. وسنتكلم عنه في بابه ، او من سوء التصور. وهذا يتأتى من قصر النظر او من ضعف البصيرة.

صفات الانتقال الفكري — الصحة — ان الخطابة تبحث مفصلاً عن كيفيات الانتقال الفكري واختلاف وجوهه . ونكتفي الآن بالتنبيه الى ركنه المهمّ وهو الصحة .

فصحة الانتقال الفكري او القياس تستدعي اولاً ان تكون الافكار المتقابلة صحيحةً. فان قابلت هذين الفكرين وهما : الجناية تُوجب على مرتكبها القصاص ، وعمرٌ هو جانٍ ، رأيت كليهما صحيحاً تبدو صحته بغير تأملٍ كصحة وجوب قصاص الجاني ، اولاً : يتطلّب اثباتها إعمال الفكرة ككون عمر جانياً. وثانياً : ان يكون بين القضيتين المتقابلتين حدٌّ مشترك وهو الجناية في المثل المتقدم . وثالثاً : ان يتحصل من هذا الحدّ المشترك قضية ثالثة تسمّى لازماً او حاصلاً او نتيجةً . فاذا سُلم من وجهٍ ان الجاني يقتصُّ منه ، ومن وجهٍ آخر ان عمرًا جانٍ حصل بالضرورة ان قصاص عمرو واجب ، ولكن لو قلت في النتيجة ان عمرًا عالمٌ ، لدلَّ ذلك على اختلاطٍ في العقل لان هذه القضية الجديدة لا تحصل من تلك المقدمات .

حكم العقل — لما كانت الغاية من الاوضاع اللغوية التعبير عن الافكار كان العقل الركن الوحيد والعماد الضروري لكل صنع ادبيّ ، وعليه ترى عمدة الكتّاب يتطلّبون في من تسوّل لهم نفسهم مزاولة القلم الفهمَ وحسنَ النظام واصابة الفكر واجادة البرهان .

فان كل مؤلف خالٍ من الحكمة او مشحونٍ بالتصورات الفاسدة ليس له بين كتب الادب شأن واعتبار مهما كانت مكانة صاحبه من الفطنة والذكاء.

ومهما كان عليه من بديع الانشاء وسحر البلاغة التي توارى ما فيه من المفاسد وما يدل على خلل وشذوذ في الافكار فيحرم القارئ لذة المطالعة اذ تفوته محاسنها لان الصواب والحكمة من اركان الحسن الضرورية .

على ان الكاتب في غالب الكتابات النثرية كالتاريخ مثلاً الذي يتصدى صاحبه لعرض اسباب الوقائع وسلسلتها لا يحتاج الى سوى العقل ودقة النظر والصواب وحسن النظام وهذا حسبه. فالعقل هو الذي خلق لنا اولئك الجابذة الذين كشفوا لنا الستار عن غوامض مصير المرء في هذه الدنيا وعن سير الحوادث والماجريات وتعليلها وعن اسباب انقلاب الممالك رغماً عما كانت عليه من العظمة والفخار ، وعن التواء الاهواء البشرية وسوء نزعاتها بكلام يتراءى الحسن من خلال سطوره وتتبين الحقائق من وراء اشعة نوره .

فالعاقل الذي يعرف كيف ينتبه ويفتكر يتحاشى في كل ما يكتبه وفي كل فن يزاوله عيبين من معائب الانشاء لا يفارقان ذوي العقول الخامدة وهما : الجفاف والهجنة. والسبب في هذا الخلل انما هو الافتقار الى الافكار ، فالنَفَسُ القصير والذهن الحسير لا يورثان سوى الملل والسآمة .

غير ان بعض الكتاب يطمحون الى تسويد صحف الكتاب فيلتجئون الى مذخرات الحافظة فينقلون عنها حرفاً بحرف افكار غيرهم من المتطفلين على موائد الادب ، او من احاديث المجالس العامة والمسامرات في ليالي الانس . فكل ذلك من قبل الامور المبتذلة والافكار المكرَّرة والمبادئ المغربلة يتبادلونها على غير روية كأنها نقودٌ رائجة يقبضها الناس ولا ينظرون الى صورتها ولا يتفحصون ضربها ، وهكذا يهربون من الجفاف فيقعون في الهجنة . اما الكاتبُ الحاذق الذكي الفؤاد فبخلاف ذلك فانه ينتبه فيَ ما يحدث فيه وحوله ويتأمل في ما رأى وقرأ ويدّخر لنفسه من ذلك كنزًا من انواع الفكر لا يُصَمّ ان يظهر للوجود ويبرز بحلل البيان فيحلى في عين كل انسان .

الفصل الثاني

في الحسّ

معنى الحساسة — الحاسّة هي قوّةٌ بها نحسُّ ونشعرُ . فالحسُّ هو ادراك

النفس الشيء باستحضاره باحدى الحواس وعلمها به . فلهذا الحسّ وجهان : تحصيليّ ، وهو التمتع باللذة عندما تستنشق رائحةً ذكيةً . وتمثيليّ ، وهو علمك ان تلك الرائحة هي رائحةُ بنفسج لا رائحة وردٍ ولا بنفسجٍ وانك تستحضر زهرةً خصوصيةً . أما بعرف اهل الفن فلفظ الحسّ يطلق على الوجهين المذكورين . والغرضُ من كلامنا في هذا الباب انما هو وجه الحس التمثيلي .

اما الشعور فهو ادراك اللذّة والألم المنويين اي المنسبين عن التصور كما لو تذكّرت فظائع نيرون فتحرّك فيك الغضب والانتقام .

فبين الحس والشعور اذًا فرقٌ اساسيٌ . فالاول يتولّد من استحضار شيء ما ماديّ . والآخر بتمثيل صورة عقلية . هذا يزول بزوال المادة فانك اذا ما ابتعدت عن البنفسجة لا تستنشق بعد ذلك رائحتها ، وذاك يستمر بغير انقطاع كاستمرار التصور بنفسه .

مرتبة الحواس — ليس لكل واحدة من الحواس اهمية متساوية بأهمية الاخرى بالنظر الى الحس . فحاسّة الذوق واللمس والشم ليست من الحواس التي يستعين بها الرسّام والشاعر استعانةً معتبرةً ، فان الحاستين الفنيتين انما هما السمع والبصر ، فبدون السمع يمتنع النطق بالكلام وتنقطع طرق التخاطب والتفاهم وتُسدّ مجالات الفصاحة والبلاغة ويضرب على فن الغناء الضربة القاطعة . اما العين فتبصر الالوان والاشكال والخطوط التي يصفها الشاعر والناثر .

صفات الحس — كل ما في الحس من الصفات يمكن حصره بواحدة وهي الصدق ، فانه يقتضي ان ننظر الى حقائق الاشياء بعيننا الباصرة لا بعين الاجسام الكثيفة ولا بعين قرّاء الامس . فالشيء لا يكون سهلًا بحسب ما يظهر فور رؤيته ولا بدّ من الدقة في النظر الى الامور الطبيعية بنفس سليمة الفطرة وطاهرة السليقة . ولا بد من التروي في مراقبتها والصبر عليها ريثما ترسم فينا ضروباً من الحس صحيحة .

فاننا نرى اكثر الكتّاب في هذا العصر يتقدون بين سبقهم وينتحون مناحيهم في ابواب الوصف وغيره من فنون الكلام ولا يعتمدون على ما يرتسم في قلوبهم من ضروب الحس الجديدة الفطرية .

صفات الشعور — لا بد لكل شعور من ان يكون صادقاً فطرياً . وقد يكون بحسب استعداد الكتاب رقيقاً شريفاً سامياً .

الصدق والاخلاص في الشعور — الشعور الصادق هو ما ادركه الكاتب نفسه . فان اندفع الشاعر بنوع من الشعور يقتضي ان يكون ذلك النوع انطبع فيه وتمكن منه والّا فان كان مشخصاً فيطالب من ذلك الشاعر ان يجرّد من شخصه شخصاً آخر شاعراً شعوراً حقيقياً بما ينشده وان يحيي بالخيال من يمثله .

تنبيه : الى هنا انتهى قلم الاستاذ الاب نعمةالله ابو ناضر في جريه بهذه الابحاث الادبية الطريفة اللذيذة وطرأ ما صرفه عن متابعتها . رحم الله واضعها عداد ما له من الحسنات والمبرّات .

حفلة ادبيّة

وزّع الاب نعمةالله ابو ناضر هذه الابحاث الادبية التي مرّت على تلاميذه ليستظهروها ويلقوها في حفلة ادبية أُقيمت في ختام السنة المدرسية بحضور الرئيس العام ومدبّريه واساتذة المدرسة وآباء الدير ، وجعلها بين الاستاذ وتلاميذه وافتتحها ابو ناضر بهذه الترطئة التي كتبها عن لسان الاستاذ والمقترح وهي :

الاستاذ — ان ما وجّهنا العزمة اليه ، وامضينا النية عليه ، من نظم عقد هذا الاجتماع في هذا النادي الحافل ، ليس هو الّا الالماح الى ما اقتبسناه بجهد كامل ، في مدة هذه الايام التعليمية ، من فرائد الفوائد السنية . فإنّا ولا نخشى المبالغة في ما نقول ، بحيث لا نتجاوز المعقول . قد خضنا في عباب علوم البيان الزاخرة ، وحسرنا اللثام عن وجوه محاسنه الشائقة ، فاستخرجنا من كل دقائقه ، ووقفنا على جميع حقائقه ، حتى انكشفت لنا اسرار الفصاحة ، واتضحت لنا مناهج البلاغة ، فوردنا ينابيعها الصافية ظامئين ، وصدرنا عنها مرتوين حامدين . ولسنا ممن قال عنهم صاحب التلخيص ، المقيّد شوارد هذا الفن بالتنصيص : انهم جماعةٌ هم اسرى التقليد ، طفقوا يتعاطون علم الادب من غير توثيق ولا تسديد ، ويخوضون في تحرير مقاصدهم حول القيل والقال ، ويقتصرون من تقرير لطائفه على ذكر المقام والحال ، لا تخرج عن ربقة التقليد اعناقهم ، حتى تسرح في رياض التحقيق احداقهم ، ولا ترتفع غشاوة التعصب عن بصائرهم ، حتى تتطبع

دقائق التعقل في ضمائرهم ، كل بضاعتهم اللجـاج والعناد ، وجلّ صناعتهم الانحراف عن منهج الرشاد ، فهيهات التنبه للرمزة الدقيقة الشان ، او التفطن للمحة الخفية المكان .

هذا واهم ما نقصده بالتثامنا في هذه الحفلة ان نفي فرضاً ونكسب رضىً وان نلوّح الى تحقيق الآمال فينا فنفوز بما نطلبه من بحبوحة امانينا ، ببركة ابينا قدس رئيسنا العام المفضال ، الآبائي اغناطيوس داغر التنوري البالغ أعلى ذروة الكمال ، ودعاء حضرة الآباء المدبرين الكرام ، وجميع الحضور من الآباء ذوي الاحترام .

المقترح – حيّاك الله وبيّاك ايها الاستاذ البارع وصاحب العلم الواسع انني ابحث منذ امدٍ طويل عن استاذٍ مثلك متضلع بالفنون الادبية لعله اذا اجتمعت به يزيل عن عقلي غشاوة من الابهام والغموض جعلت همي في جلائه لتتبين لي الحقيقة من ورائه . فاني طالما قلّبت الطرف في كتب الآداب العربية الرائجة في مدارس هذا العصر من كل قطرٍ ومصر فلم أرَ كتاباً يبرّد لي غليلاً ، او يغنيني عن نصبي فتيلاً . فاليازجي كلّه معميّات ، والمناجي ، والقزويني بات يجرمني ويضنيني ، والتفتزاني زاد اسقامي واحزاني ، والتلخيص جاء بكل معنى عويص . واما المفتاح فأغلق عليّ ابواب الفلاح وراح ، والشرتوني سلك طريقهم فلم يفرج كربي ولم يزل شجوني :

فكم تعبتُ وكم شُقيتُ م وكم حنقتُ على القَدَرْ

فاستنشدك الله ان تجود عليّ باسعاف انفاسك ، لاستضيء باشعة نبراسك ، وضالتي التي انشدها فورّ التصور من الامور البديهية وان البحث فيها ولا ريب حكمٌ على كل اديب ، الا وهي شرحٌ موجز بعبارة مرضية تكشف لنا النقاب عن نشأة العلوم الادبية وتكون توطئةً لها ، وتجلي لنا مؤداها ومآلها وتبين لنا كتب التدريس فيها والفنون والادب ومؤلفيها وما يتعلق بذلك من معنى الحسن الرائع ، والمثال النظري الواسع ، ومذاهب الكتّاب وما هو مقام المبادئ الاولية في هذا الباب ، فاني لم اقف على اصل ولا على فصل هذه المباحث ولم اعثر على ما يلمح الى ذلك في بابٍ ولا في فصل . فهل لك على

قضاء حاجتي في هذا الامر منّة ، ولك مني وافر الشكر والمنّة .

الاستاذ — سبحان الله اني لا ريب شاري منك اديباً يدري بحقيقة قدري لان ما تتقاضانيه الآن قد قضيت مدةً من الزمان في تحصيله بقلب ظمآن وطرف يقظان . وطالما تمنيت ان يسألنيه اديبٌ مثالك فافتخر بما عرفت واخدم العلم واهله بما اكتشفت . فاقترح علينا ما بدا لك في هذا الباب ، حتى نُجيب سؤلك باحسن جواب .

هنا يقترح المقترح على الاستاذ ، والاستاذ يكاتب تلميذًا من التلامذة بردّ الجواب على اقتراحه الى النهاية . . .

المقترح — اجل ! لقد ملكني ما رأيت في الاخوة الادباء من الفضل واسترقني ما ظهر منهم من البراعة . ولعمري انهم اصابوا شاكلة الامر واستحقوا وافر الشكر . فلم أرَ ما سمعتُ منهم في كتاب ، ولم تدوّن مثله اقلام الكتّاب ، على ان الطمع يلجُّ بي الى الاستفادة عمّا هي آداب اللغة والفنون ومراتبها والحسّ والمُثُل النظرية ومذاهبها فان ذلك نعمة يعجز عن قضاء وصفها لساني ولا يقوم بحق شكرها جناني الخ . . . اه

من الاخ المخلص شبلي العزيز حفظه الله تعالى .

عب وافر السرور الى شاهدكم الله على طي عهد التوفيق ... بالي تحريركم عن احوالكم
فلله سروري جدا لعزيز محلكم وتذكركم مني سؤالكم الطيبة ان شاء الله تعالى بعد من قابلة
الى قرية احمد رضا اكون عندكم واقيم حتى اجابة في سبيل الله العلم العالي الحقيقي ويرونكم
ان شاء الله تعالى بافراد ابن العزيز المحبوب . واني استعد الله اعوض لكم عما خسرتموه من الدروس
اجتهادي واجتهادكم فعاقد العزم الوثيق من نفس الباب . لا تتأخروا عني فاني بين الحين والآخر
عنكم وعن سيدي الوالد العلم الجليل الحقيقي وسيف الدين اطال الله تعالى فريد حياتكم

قال
بعضهم
الوالد
لنا

١٢

سلم مخلص لكم ... اجتهادي المحترم وقول القدس ان وجنته لي بزاد
صحيح فلس قرش ولكن لم اقنع على ان ارسل ذلك العزيز معه فاذا اوعز
الى الوالد بارسل السبحة فانه يوجي احد معارفه او تجار حيفا الذين يترددون الى بيروت
فيرسل السبحة انه يأخذ ذلك منه فرصة باطوس على البوج واذا وقفت
بوصوله واكتب لكم له انا فرغ من رسالة ؟

بعض آثار من قلم الاب نعمة الله ابو ناضر
الراهب اللبناني

رأينا ان نذيّل هذه الابحاث الادبية ببعض آثار من قلم الاب نعمة الله ابو ناضر .

الاول كتاب

ارسله الى الاب انطونيوس شبلي اذ كان اخاً دارساً عليه يدعى : الاخ اغناطيوس ، واننا ننقله على الزنكوغراف احتفاظاً بخطه الاسلامبولي الجميل :

نصّ الكتاب

حضرة الاخ اغناطيوس شبلي العزيز حفظه الله تعالى .

غب وافر الاشواق الى مشاهدتكم الانيسة على كل خير وتوفيق . ورد اليَّ تحريركم حاملاً اصدق عواطفكم فتلوته مسروراً جداً لاعرابه عن صحتكم ومتشكراً جداً من شواعركم اللطيفة : ان شاء الله تعالى بعد مدة قليلة لا اقدر ان احددها اكون عندكم واغتنم بلثم واحات قدس سيدي الاب العام الكلي الاحترام[1] وبرؤيتكم ايها العزيز المحبوب . واني مستعد ان اعوض لكم عما خسرتاه من الدروس . ان شاء الله تعالى باقتران اجتهادي واجتهادكم معاً نسد العجز الواقع من هذا الباب . لا تتأخروا عن مكاتبتي لاجل الاطمئنان وعن سيدي الاب العام الكلي الاحترام ولفيف الدير . اطال الله تعالى عزيز بقائكم .

١٢ كانون ثاني سنة ٩١٤

اخوكم
نعمة الله ابو ناضر
لبناني

---

١) هو الاب اغناطيوس داغر التشوري الذي كان يكلف الاب نعمة الله ابو ناضر بحلّ المشاكل الصعبة . ولم يكن هذا الاب ينيب عن دير سيدة المعونات في جبيل ، مقرّ الرئاسة العامة الا اذا أرسل بقضاء مهمّة .

سلام خصوصي لقدس الاب اجناديوس المحترم[1] وقولوا لقدسه (الاب العام) ان وصيته لي بشراء حبوب قلس قد تمّ ولكن لم اهتدِ على من أرسل ذلك لقدسة معه . فاذا اوعز الى الاب بولس السبريني ان يوصي احد مكارية او تجّار جبيل الذين يترددون الى بيروت كل اسبوع ان يأخذ ذلك من فرمشية باخوس على البرج . واذا توفقتُ بوجود احد ذاهب الى جهتكم لا اتأخر عن ارسالها .

الثاني : كتاب ايضاً

ارسله الاب نعمة الله ابو ناضر الى الاب انطونيوس شبلي
اذ كان في دير سيّدة نسيبه ، غوسطا ،
يقف على طبع كتاب له بمطبعة الاباء البولسيين في حريصا

عن دير مار موسى الدوّار في ٨ تموز ١٩٣٠

حضرة الاب الجليل الفاضل الجزيل الاحترام .

لا يخلو ذكركم من بالي ايها الحبيب وقد شقّ عليّ ما بيننا من البعد الذي يهيج مني الشعور ويزيد في لواعج اشواقي سعيراً .

اني امثلكم امامي بما انتم عليه من اللطف والدعة والوداد والمقة . كأني اسمع كلماتكم الكاشفة عن همم عالية وافكار غالية وتتراؤن لي تارة طروباً وطوراً مكروباً . ولا يقدح كل ذلك في ما بكم من دماثة الاخلاق ورقة الطباع وسلامة النية وحسن الطوية .

كتبتُ لكم جواباً على تحريركم في اول شباط عن محطة صربا وهو آخر عهدي بالكتابة اليكم ولم اعلم ان كانت وصلت اليكم سطوري تلك او لا . فارجو الافادة عن احوالكم وصحتكم واشغالكم وراحتكم وما لو كنتم باقين في مكانكم او مستعدين على الرحيل . الحاصل انكم تعلمون ان اخباركم تهمني فلا تبخلوا بها عليّ .

---

١) هو قدس المدبّر اجناديوس مركيس رئيس الرهبانية اللبنانية العام سابقاً ، وكان الاب ابو ناضر كاتم اسراره .

عندي كتاب صغير احبّ ان اطبعه وقطعه صغير مثل قطع الاقتداء بالمسيح للاب قرنيه اليسوعي واظن انكم واقفون عليه وان فاتكم فلا يفوت البولسيين . استفسروا لي من مدير المطبعة عمّا يكلّف الطبع اي الكراس من مثل هذا القطع وافيدوني عن آخر سعر فان صح ارسلته اليكم لتقفوا على طبعه والّا استعنت بمطبعة اخرى . وعليه لا تتأخروا عن جوابي وانا بانتظاره يوماً بعد يوم .

اقبلوا عاطفة محبّ لا يطلب سوى ان يروي غليله بساعة من الوصال ولا يدعو الّا بطول بقائكم بخير وسلامة . اخوكم

نعمة الله

ابو ناضر

والكتاب المقصود طبعه هو ترجمة الاقتداء بريم لذلك احبّ ان يكون بقطع الاقتداء بالمسيح اخيه[1] ..

الثالث : خطاب

اقترحه الاب اغناطيوس داغر التنوري رئيس دير مار قبريانوس كفيفان ، على المبتدئ الاخ نعمة الله ابو ناضر فوضعه مختصراً وبعبارة ناعمة لطيفة وضمّنه كثيراً من العواطف الطيّبة المخلصة طبقاً لارادة المقترح الذي تلاه بحضرة البطريرك الياس الحويك تناسبة تشريفه دير كفيفان . وهذا هو الخطاب نقلاً عن المسودة الاصلية بخط الاب ابو ناضر :

مولاي

انني اتكلّم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن هذه النصوب التي غرسها

---

١) لما وصل هذا الكتاب باسمي الى دير نسيبه كنتُ غادرته الى دير حوب لتصفية فصل الصيف فيه فأرسل اليّ الى هناك .

وقد مرّ ذكر كتاب « الاقتداء بريم » الذي نقله الاب نعمة الله ابو ناضر من اللبناني الفرنسي الى اللسان العربي وقد حدّثني عنه في رسالته هذه . وهو لم يزل بخطه المُشرق محفوظاً عندي . ا. شبلي .

يمينك وصوّرتها فضيلتك واحياها عيث انظارك وبركاتك ورفعها تشريفك اياها الى اوج الكرامة فاقول: ان اعمالك العائدة لخيرنا نعرفها وسهرك علينا نعظّمه والتفاتك الينا نجلّه ومعروفك نحونا نشكره. فيا رجل الخير بل يا رجل الفضيلة الذي أبت نفسك ان تنظر في جميع اعمالك المبرورة ومآثرك المشكورة غير الفضيلة التي اقنومها مجد الله. انك لما رأيت ربح تجارتك ومجد الله وخير القريب في ابنة الطائفة رهبانيتك هذه، افرغت كنانة جهدك فاخترت ديراً فيه ضريح رجل الله صاحب المعجزات الاب نعمة الله الحرديني الراهب اللبناني ذلك البارّ الذي أنت حارساً له وأسكبتَ فيه نعمائك وسندته بيمينك وزرته بشخصك غير مبالٍ بوافر تعبك طالباً من هذه الغراس ان تُثمر اثمارها بعد ان تشرب حليب التقوى وتأكل خبز الفضيلة وتلبس حلّة التجرد وبذل الذات وتتشح بوشاح النسك والعيشة المتزوية وتسير على طريق القانون المقدس الى ان تصل الى برج كمالها . فلهذا مولاي لا نحسبك رجلاً عالماً ولا فيلسوفاً مفحماً مقنعاً ولا لاهوتياً شارحاً كُتب الله وصاعداً الى مركزها ولا فاضلاً في المحامد والمكرمات ولا حبراً سالباً قلوب الملا ولا بطريركاً قابضاً على ازمّة الطائفة ، بل نعتبرك ملاكاً في صورة انسان أُرسلت من سماء السماوات لتحرس الطائفة المارونية وتقف ذاتك لخيرها وتعتني في اولادها .

هذا ولما كان كلامي فيك على قَدْري لا على قَدْرك ، فرجائي ان يكون رفقك بي على قدرك لا على قدري . على اننا نعدك مولاي أمام رسل المسيح ساداتنا الكرام وهذا المحفل الحافل باننا نتمم الدعوة التي دعينا اليها اتماماً لمقاصدك الصالحة ونيّاتك المقدسة قائمين بفروضنا البنوية نحو غبطتك وساداتنا وطائفتنا ، وما هذه الفروض الّا الصلاة لتوفيق مساعيك وتحقيق امانيك لتقلع وتغرس وتبني وتهدم . ابقاك الله مجداً للبنان وفخراً للطائفة وسنداً لنا وهو السميع المجيب وعلى كل شيء قدير .

الرابع : خطاب

ترحيبي ايضاً بزيارة السيّد البطريرك الياس الحويك
دير الابتداء مار قبريانوس كفيفان

بقلم الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

ايها السيد الكلي الغبطة .

اننا ايها السيد الكلي الغبطة منحنون امامك ، متبركون بلثم مواطئ اقدامك ، وقد اخذ الفرح بمجامع قلوبنا وسرت الحميّة فينا سريان الدم في العروق ، لان تنازل غبطتك الى تشريف ديرك هذا المبارك بزيارته السعيدة ، نعمةٌ كبرى ومنّةٌ عظمى توجب علينا ما لا نستطيع ان نفيه حقهُ ما طال العمر باعلان الشكر وجميل الذكر ، لانّا والحقّ يُقال لسنا جديرين بمثل هذه الكرامة التي جاءت فوق ما نتمنى .

فانك ايها السيد السند الذي نستغني به عن كل مدد ، لم تألُ جهدًا في تعزيز الطريقة الرهبانية ، تشهد لنا بذلك اعمالك المبرورة وآثارك المشكورة ، التي تحدّث بها الحادي في كل وادي ، من مساعٍ خاصة في هذا السبيل ومن لهجةٍ متواصلةٍ في كل مجلسٍ تتصدّره ومن مراسيم متعددة لولد غبطتك سلفنا[1] ، وهي تنطوي على فقراتٍ نفائس ظهرت عليها منحةٌ الهية وفاحت منها عبقةٌ رسولية زكية اعلاناً بما خالج فؤادك من الحبّ الخالص والشوق الفائض والعناية والاهتمام بأمرنا ما اذا قابلناه ببذل حيّات القلوب لا نكون لُمنا الحقّ وفينا جزءا من حقه ولا تقاضينا من انفسنا ما توجبه نعمك المتوالية علينا احساناً وفضلاً ونحن لم نكن لها اهلاً .

ويشهد بذلك ايضاً تنازل غبطتك الى تشريف ديرك هذا الذي هو وجهة

١) يظهر ان الذي تلا هذا الخطاب بحضرة البطريرك هو الاب اغاطيوس داغر التنّوري معلّم المبتدئين وقد خلفَ الاب الكفري الذي أُنتخب رئيساً عامًّا هذه الوظيفة . والبطريرك كان زائرًا رسوليًّا على الرهبانية وحبّذا دير الابتداء وكلما سنحت له الفرصة كان يزوره بذاته او يرسل من قبله لزيارته احد مطارنة الكرسي البطريركي – الناشر .

عنايتك الخاصة وموضع حنانك القلبي المحصَّن بجلول ركاب غبطتك فيه مرّات متعددة ويسهر على جمهوره وبمرافقتك اياه بالروح في ممارسة رياضاته الروحية كأنك بذلك الملاك الذي ارسله الرب ليرافق طوبيا البار في سفره فأدّى الرسالة حقها من حراسته حتى اعاده الى بيت ابيه بعد ثقل السفر وقضاء الوطر والحصول على البصر . فانت انت ايها السيد الكلي الغبطة ملاكٌ حارس لدير كفيفان هذا معهد التقوى ومقرُّ الفضيلة والعبادة والزهادة الذي هو بمنزلة طوبيا الثاني الساثر جمهوره في طريق التوبة الضيّق الذي دعانا الله الى سلوكه، كأن الله ندبك لحراسته. فبنورك نعاين النور وبحسن التفاتك نحيي وان طوتنا القبور ونسترجع الاعتبار الذي خلّفه لنا اجدادنا القديسون ، فان عندنا واحداً منهم الا وهو الراهب العجيب الاب نعمة الله الحرديني ، من تضرب الركبان بطون المطايا اليه وتتهافت قلوب المؤمنين الخاشعة عليه ، من قامت معجزاته بين العجم والعرب تميط عن وجه الحق الواضح لثام الريب .

***

فقصارى القول ان غرضنا الوحيد هو حرصنا الشديد على احياء قوانيننا الرهبانية والسلوك بموجبها سلوكاً لا تشوّه وجه محاسنه شائبة . وهذا هو الامر الذي يدفعنا الى التمسك بوصاياك الجليلة والاخذ باوامرك المنيفة الصائبة التي وقفنا لها الاسماع في السنة الماضية في مثل هذه الحفلة الزاهية اذ أودعتنا كلام حكمة كله لباب وارشادات كلها صواب. ثمَّ بعثتَ من بعد بأحد رسوليك[1] القائمين حولك في هذا المجلس الحافل بك فأبان فيما ابان ان الطائفة تأسست على الراهب واتخذت اسمها منهُ ونمت واشتدَّت بالراهب الى هذا العصر . ثم صرّح انهُ يتمنى ان تتكلّل بالراهب ايضاً .

ولما كنت البنية التي يؤمّها هذا الراهب والعروة التي يستوثق بها والركن الوحيد الذي يُلتجأ اليه والعَلَم الفريد الذي يُعقد عليه شديد الآمال في تحسين الاحوال ، رمى بنا اليك حادي الرجاء الذي قرب ميقات تحقيقه فجئناك كما جاءت امرأة الفاقة هيكل الرب مبتهلةً طالبةً مولوداً ذكراً فانها اكتأبت فبكت

---

١) نقلتهُ المطران يوسف نجم .

فصلت فنذرت نذرًا . فلما رآها الحبرُ تختلج ظنّها سكرى فقال : افيقي من خمرك . فالتمست لنفسها عذرًا وقالت : كلّا يا سيدي اني امرأةٌ مكروبة النفس لم اشرب خمرًا لكني اسكب نفسي امام الرب واتكلّم من شدّة ما بي من الوجد . فقال لها ابشري انطلقي بسلام فالهُ اسرائيل يعطيك بغيتك التي التمستِ من لدنه سرًّا .

فهلّا تُسعفنا من فيك الطاهر مثل هذا ايها السيد الكلي النبطة ، فان البغية التي نقصدها والضالة التي ننشدها لا يتوفق الحصول عليها ولا الاهتداء إليها الّا بمواصلة انظار غبطتك الكريمة وقايةً من معرّةٍ تلحقها فتودي بها فتمحقها وتمحو ما تألّق فوقها من سناء وبهاء . وهلّا ترمي الى هذه الرهبانية بردائك كما رمى به النبيُّ شفيمك فتضرب هي به سيل العراقيل فينفلق فتعبر كما عبر اليشاع الاردن وتحلُّ روحك عليها كما حلت روح ذاك النبيّ الحيّ على خلفه .

وحسبي اخيرًا ما قال الشاعر : وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ . . . حقّق الله نيّاتك الصالحة لنهج المناهج الواضحة لنا نحن الاخوة المبتدئين والرهبان الدارسين في دير كفيفان ابناء غبطتك الاخصاء واولاد الرهبنة القاصرين . فلتتم فينا على يد غبطتك مشيئة الله سبحانه تعالى الذي ترفع اكفُّ الضراعة اليه طالبين منه ان يجازي غبطتك اضعاف الجزاء ويؤيدك بنعمه الوافرة ويصب فوقك شآبيب الآنه الزاخرة ما دار بقدرته فلكٌ وسبّحه فوق عرشه مَلَكٌ آمين ه .

الاخ نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

الخامس : خطاب

تلاهُ احد المبتدئين بمناسبة زيارة احد
السادة المطارين دير مار قبريانوس كفيفان
بقلم الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

ايها السيد المفضال .

انكم ترون الآن كلَّ جمهور هذا الدير يسابق بعضه بعضًا لتأدية مراسيم السلام والتحية لسيادتكم وابداء شعائر الفرح والبهجة بتشريفكم ديركم هذا

المخصوص بتدني الرهبانية والتبرك بالانحنا. للتم الناصل سيادتكم الطاهرة بخضوع يسرُّ به قلبكم الابوي سروراً جزيلاً .

ولا عجب في ذلك ، ايها السيّد المفضال ، لان الاب والابن اذا التقيا بعد فرقة يفرح بالطبع كلٌّ منهما بالآخر فرحاً يساوي ما يكون بينهما من حدود المحبة والتعلّق .

ومن المعلوم لدى الخاص والعام والوطنيّ والاجنبيّ ، ما لابناء الطائفة المارونية من التعلّق الشديد بساداتنا الاجلاء لا سيما برأسنا المعروس الذي نفديه بالنفوس صاحب النيطة سيّدنا البطريرك (الياس الحويك) الكلي الطوبى. أيّدهُ الله تعالى .

ومن المقرر ايضاً ما في قلوبكم جميعاً ، ايها السيّد الجليل ، من المحبة لنا والعناية بنا نحن ابناءكم الاخصاء مبتدني دير كفيفان . فكيف لا نفرح الآن بتشريفكم الذي فعل بنا فعل السلافة المشتّة فأضحينا ثملين من المسرّة والحبور. واننا على يقين مما يشغل قلبكم الطاهر من لواعج الحنان الى اولادكم هؤلاء المشمولين بانظاركم الخاصة الذين تُعلّقون عليهم آمالاً تبذلون في سبيل تحقيقها النفس والنفيس .

فلا ننكرُ ما لكم من العناية والاهتمام بأمر الطائفة المارونية عموماً وما لكم من الفضل في ذلك . ولا ننكرُ خصوصاً ما لكم من المحبة نحو اولاد الرهبانية هؤلاء المتمثلين لدى سيادتكم وقلوبهم تحتاج من الحب والوقار ، الذين يتمنون لو لبثوا تحت انسان عين سيادتكم مدّة مديدة حتى يروا غليلهم من مشاهدتكم التي تحرّك في صدورهم نشاطاً جديداً ويتبركون بتكرار لثم انامليكم الطاهرة اذ انتم ركنٌ نفتخر به ونجاهر بالثناء عليه ونشهد بفضله وقداسته على رؤوس الملا . كيف لا وقد التأمت فيكم جميع الصفات التي تدعوكم الى الكرامة والرفعة من احراز العلوم المختلفة والفضائل السامية والمدارك العالية والاعمال الباهرة والمشروعات الظاهرة ، فضلاً عمّا خصّكم به الله تعالى من الحكمة والفطنة وشريف المبادئ التي تحتاج اليها الملّة والرهبانية في هذه الآونة .

فعليه ننتهز الآن هذه الفرصة ونقدم لسيادتكم مراسيم التبريك وفروض التهاني بحلول عيد الميلاد السعيد واقبال العام الجديد، اعادهما الله على سيادتكم اعيادًا جديدة واعوامًا مديدة وسيادتكم محروسون بجنود ملائكة السلام وراقدون بحلل وافر النعم، وتهديكم قلوبًا تشتمل بلهيب المحبة والاختصاص والوقار والاخلاص، وترفع بلسان واحد الدعاء الحي الى الله تعالى ملتمسين من جوده الالهي ان يؤيد مبادئكم الخيرية ويحقق نياتكم الخالصة لوجهه الكريم ويحفظكم بالسلام والامان ذخرًا للطائفة جمعاء، ولا سيما لابنائكم الاخصاء.

٢٩ كانون الاول سنة ١٩٠١

الاخ نعمة الله ابو ناضر
عن مبتدئي دير كفيفان

قصيدة

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر

اقترحها عليه تلامذة مدرستنا في بيروت

وتلاها احد الاخوة الرهبان الدارسين في حفلة اكرامية أقيمت

للطيب الاثر الاب مبارك سلامه المتيني

رئيس الرهبانية اللبنانية المارونية العام سابقًا ومنشئ المدرسة المذكورة

عند له بعيد الميلاد المجيد والعام الجديد

طمح القريضُ الى علاك فخرَّدا ... مستصحبًا حمدًا اليك منضَّدا
يهتزُّه طربٌ اليك وطالما ... طرب المحبُّ الى الحبيب توجُّدا
فاعطف عليه بنظرة بسطت له ... في القلب اجنحةَ القبول ليسعدا
فلقد رصدتُ مديح ذاتك صادياً ... يومًا ابلُّ به من القلب الصَّدَى
فوقفتُ بين مآثر ومكارم ... لو انها عُدَّتْ لكان مخلَّدا
ودهشتُ بين فواضل وفضائل ... لو انها عُدَّتْ لظلَّ موطَّدا

شيمٌ اذا افتخر الزمانُ فانها شرفٌ يروح بهِ الزمانُ مسوَّدا
رقَّت فباركها النسيمُ فآنست بمبارك الاخلاق شهماً اوحدا
رجلٌ اذ جسَّمتَ غرَّ صفاتهِ قلَّدت اعناق القصائد عسجدا
أَلِفَ الفضيلةَ منذ عهد فطامهِ صبًا مبرَّات الفعال تعوَّدا
رجلٌ تجرَّد للصلاح فنال من كرَم المهيمن ما اليهِ تجرَّدا
ذو غيرةٍ في الدين قلَّ نظيرها رقَّتهُ من متن الرئاسةِ مقعدا
فسَما اليها خاشعاً متواضعاً يبغي نجاح امورها متعهِّدا
فأقام مدرسةً يظلُّ فخارها ابد الابيد معزَّزًا ومشيَّدا
ان نعفُ ، ما عبث الزمان بذكرها بل دام ذكرُ قديمها متجدِّدا
ما السيفُ امضى مضرباً من عزم من يعلو بهِ رأي يظلُّ مسدَّدا
يسعى وراء المكرمات مجرِّدًا عزماً يفلُّ بشفرتيهِ مهنَّدا

***

طلعت فماثلهُ بغرَّة وجهها كالعيد اسفر وجههُ متوقِّدا
فتماثلا في النور لكن لم تكن لتردَّ مثل العيد طرفك ارمدا
عيدٌ تبلَّج ثغرهُ فجلا الدجى بسناء مولد من اراد تجسُّدا
طار المجوسُ اليهِ حيثُ هداهمُ نجمُ الملاك فخرّوا تنّت سجَّدا
فكأن ذاك النجم علك نقتفي آثارهُ أنّى اشار وارشدا
ما صدَّنا عمَّا نرومُ بمكره هيرودُ يوماً في سبيل بني الهدى
اذ نحنُ تحت لواء من يزهو بهِ الدينُ العزيزُ مكبَّرًا ومعيَّدا
هُنئتَ بالعام الجديد وقبلهُ بولادة ابن الله فابقَ مؤيَّدا
تفني الزمان بما يدوم وذكرهُ باقٍ يطول بهِ الزمانُ تأوُّدا
واسلم تُظلِّلك الحياةُ بوارقٍ من خضلها يفترُّ عن بَرَدِ الندى
فاليكها مثلًا بطاعتها لمن روض المكارم في علاهُ ترأدا

الاب نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

السادس : نشيد

ان الاب نعمة الله القدّوم الكفري لما سُمّيَ رئيساً عاماً كان سلّماً للمبتدئين في دير مار قبريانوس كفيفان . وفي زيارته الاولى لهذا الدير رئيساً عاماً رحب به الاخوة المبتدئون بهذا النشيد من نظم الاخ نعمة الله ابو ناضر وهو :

آنس القلب سرورْ عندما وافى البشيرْ
وبدا في الدير نور بات منهُ يستنير

دور

ها هو المختارُ حقاً لرعاية النفوس
فلهُ الاكرام صدقاً ولهُ تُحنى الرؤوس

دور

هو للتقوى مثالْ بجلالٍ وكمال
ولهُ في الزهد حالْ ميّزتهُ لا تُطال

دور

رومةُ العظمى اصطفته كي يسوس الرهبنه
وتناهُ عطفته نحو أولي المسكنه

دور

خصّهُ اللهُ تعالى بعفافٍ كالملاك
وباحسانٍ توالى قد سما فوق السماك

دور

انطف يا من تسامى نحو دير الابتداء
اننا صرنا يتامى او كمن اضناهُ داء

دور

انطف نحو بنيهِ سرّهم ذا الافتقاد
باشتياقٍ وحنينٍ منهم ذاب الفؤاد

دور

كنتَ فينا مثل شمس تستضي منها القلوب
منك شمنا كلَّ انس قد جلا عنا الكروب

دور

ان نكن نحنُ الحصونا كنتَ انت الغارسا
او نكن نحنُ الحصونا كنتَ انت الحارسا

دور

صانك الرحمنُ دهرًا ونأى عنك العنا
وحباك اللهُ نصرًا نلتَ غايات المنى

الاخ نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

السابع : نشيد

تُلِيَ في استقبال الرئيس العام الاب نعمة الله القدّوم الكثيري في دير كفيفان
من نظم الاخ نعمةالله ابو ناضر اللبناني

ها الرئيسُ العام شرّف ديرهُ قبل الغياب
نورهُ ابهى وألطف من مصابيح السحاب

دور

حلَّ في القلب سرورًا بسمت منهُ ثغور
فاح في النادي عبيرًا أتلجت منهُ الصدور

دور

هو نورُ الله ضاء في سماء الرهبنه
هو غوث الخير جاء يهدي اولي المسكنه

دور

ها هو الراعي الكريم مقبلٌ نحو القطيع
ها هو الفضلُ العميم ها هو البرجُ المنيع

دور

فتقاهُ ونقاهُ منشرًا بين الورى
وحلاهُ وبهاهُ عنّا كلّ الذرى

دور

اسمهُ في الفلك اضحى سائرًا كالمثل
ذكرهُ المسكيُ أمحى مشكلات الطلل

دور

صانهُ الرحمانُ فينا ورقاهُ سرمدا
فهو للرهبان مينا فيهِ نرسى ابدا

دور

يا ابانا العامُ سُرًّا بلقآ هذه البنين
انهم جبرًا وسرًّا لم يزالوا خاضعين

دور

لك ندعو بفلاحٍ وهنا طول البقآ
ونجاحٍ وصلاحٍ حائزًا حسنَ الجزآ

الاخ نعمة الله ابو ناضر

الثامن : خطاب

ألقي بحضرة الاب نعمة الله القدّوم الكفري رئيس الرهبانية اللبنانية العام
في احدى زياراته دير الابتداء مار قبريانوس كفيفان
من انشاء الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

قدس الاب العام المفضال

من المعلوم ان ابناء قدسكم اخوتي المبتدئين والرهبان وجميع لفيف ديركم هذا ، يبتهجون بمقابلة قدسكم ابتهاج الابن بمقابلة ابيه بعد غيابٍ طويل بل اكثر من ذلك ، لان الابوّة والبنوّة الروحيتين أعلى درجةً من الابوّة والبنوّة

الطبيعيتين واختلاف الدرجات يوجبُ الاختلاف في طبقات النسبة، فيكون اذن بيننا رباطُ روحي اشدُّ مكانةً واشدُّ حبًّا من كل مناسبةٍ دنيوية . كيف لا ونحن نتخذ قدسكم كالمسيح الذي تمثلونه فينا ونتلقى اوامركم بمنزلة اوامر صادرةٍ منهُ ونبادر الى العمل بمشيتكم كما نبادر الى تلبية مشيئته لو ظهر لنا ظهورًا محسوساً وابدى لنا اوامر من لفظهِ المقدس . والذي يزيدنا سرورًا على سرور هو النظر بان قدسكم تمثلون لدينا ولدى كل الرهبنة سيدنا يسوع المسيح بصورةٍ اكمل وصفاتٍ اشمل لانكم جمتم من الفضائل المسيحية والرهبانية اكثر مما جمع منها غيركم فاستحققتم ان تُرقوا الى هذا المقام السامي وتشخصوا امام اولادكم جميعاً مثلنا الاعلى . فأيّة فضيلة لم تحرزوها واية عملٍ من اعمال النسك لم توفوهُ حقَّهُ. فلا سبيل لي الآن الى ان أعدّد ذلك واحصيه واكشف عن حقائقه وهو معلوم جميع جماهير الرهبان والخاصّة والعامّة من العالمين . غير انني استأذن قدسكم بان أُبدي بعض ما تشعر به قلوبنا من عواطف التعلّق بقدسكم والاعتبار لكم بالنظر الى ما رأينا ولم نزل نرى منكم من الاعمال المبرورة التي تؤيدنا في مسلكنا الرهباني والمساعدات الادبية والمادية التي تمدوننا بها والتي نحنُ باحتياجٍ اليها ، فانكم لا تنفكون تعملون الفكرة في تحصيل جميع الاسباب العائدة الى اكمال تهذيبنا الرهباني وتثقيف اخلاقنا وترويضنا على ما تقتضيه احوال النسك والرهبانية .

فكم من الليالي احييتم في هذا القبيل ، وكم من العناء كابدتم للحصول على هذه الغاية الشريفة ، فان عنايتكم بذلك ليس فوقها عناية ، ونحن نعلم ذلك منذُ كنتم تدبّرون شؤوننا هنا بالعقل الثاقب والفكر الصائب وعندنا اكبر دليل على شدّة اعتنائكم بنا وهو موازرتكم مَن خلفكم[1] في هذه الحطة المهمّة رغبةً في احياء مآثر اجدادنا الرهبان القديسين في صدور اولادكم الاحصاء أجنّة الرهبانية هؤلاء الممثلين الآن امام قدسكم وقلوبهم تخفق فرحاً وسرورًا بوجودكم بينهم، لان وجودكم بينهم يُجدّدُ فيهم الحمية والنشاط ويهيجهم الى اعتناق الروح القانونيّ المجرّد والانقطاع اليه برضًى وطيبة خاطر .

(١) يريد بهِ الاب اغناطيوس داغر التنّوري الذي خلف الاب الكفري بعد تعيينه رئيساً عاماً ، في علم المتدنين — الناشر .

فهذه هي الاسباب التي تدعونا الى الابتهاج في هذا اليوم السعيد الذي اتاح الله لنا فيه ان نتمتع بمشاهدة قدسكم والتبرك بالحصول على بركتكم والتيمن بفيض انوارکم علينا . ولكننا نحبُّ كذلك ان نقابل ما تجودون علينا به من النعم بحسن التلبية قياماً بتحقيق رغائبكم والعمل بحسب حسن نيّاتكم المقدسة فانكم لا تكونون راضين عنا اذا رأيتمونا على خلاف ما تتمنون لنا من السير بحسب قانوننا المقدس ومراسيم الرهبانية بعدما تكونون بذلتم في سبيل ذلك ما بذلتم من الجهد والعناية . فعليه اننا نقدّم لقدسكم ارادتنا ايفاء بواجب الطاعة المقدسة، وقلوبنا قياماً بفريضة الشكر على فضلكم السابغ واهتمامكم الشامل ، ونعدكم اننا نسلك في المستقبل طريق القانون ولا نحيد عنها مقابلة لحسن نيّاتكم فينا . فعلى هذه الصورة يسرُّ قلبكم الابوي بنا ونكون تتمّنا الغاية التي يطلبها الله منا فيمتلئ قلبكم من الحبور والجذل . فلهذا اننا نطلب جميعاً من الله تعالى ان يؤيد قدسكم في ما انتم شارعون فيه من تمهيد سبيل الخير والنجاح في وجه أمتنا الرهبانية ويقرن بالسعد والتوفيق جميع حركاتكم ويبارك اعمالكم لانها كلها آئلة لمجده الاعظم ، ويمدّكم بالعمر الطويل حتى تتمكنوا من تحقيق مساعيكم وتجهيز اسباب الترقي والنجاح والاقبال والفلاح ، ويقودكم في هذه الطريق وانتم ثابتو القدم ، وينعم عليكم بما ترومون من النعم ما كرّ الجديدان وتعاقب الملوان آمين . اولاد قدستكم

مبتدئي دير كفيفان

التاسع : قصيدة

رحّب بها الاخوة الرهبان التلاميذ بقدوم الرئيس العام الاب نعمة الله الفندُّوم الكفيري الى دير سيّدة مفرق . وهي من نظم استاذهم الاخ نعمة الله ابو ناضر

حلولك الدير أحيا ميّتَ الكمدِ كأنك الروح قد حلّت بذي جسدِ
بنور وجهك كحّلتَ العين ضحّي فزال ما كان فيها قبلُ من رَمَدِ
انت الوليُّ الذي تعنو الرؤوسُ لهُ أغنى وجودك بين القوم عن عَدَدِ
خفّت لقياك ابناء بك انتعشت لذاك ترفلُ في اثوابها الجُدُدِ

جادت يداك علينا مذ حللتَ بنا ... ما لا يجودُ بهِ مرءٌ على أحدِ
لا غروَ إذا نراك الآن في طَرَبٍ ... كوالدٍ هيَّجتهُ رؤيةُ الولدِ
انت العمادُ الذي تقوى القلوبُ بهِ ... وكيف تسقطُ مذ قرَّت على العُمُدِ
بناء تسنيم حلمٍ انت موردهُ ... تثبت نفوسُ أولي اللأواء والكَبَدِ
دبَّرتَ شأن جماهيرٍ قد ائتلفت ... بقوَّة العلم والاخلاقِ والمددِ
فهي من عضدٍ بالدين مُعتضدٍ ... بالنبل منتضدٍ بالفضل مُنفردِ
بالحلم موتَزرٍ بالعلم مقتدرٍ ... بالعقل منتصرٍ بالروح مُرتشدِ
بالحبِّ مزدهرٍ بالرأي معتبرٍ ... بالخير مشتهرٍ بالله مُتَّحدِ
فتحتَ كنزًا غنماهُ على مهلٍ ... بالأمن بعد انهزام الضدِّ والرَّصدِ
نظمتَ بالرشد اهل البرّ فانتظموا ... حالًا ولا كانتظام الدرع بالزَّرَدِ
دُمْ كيف شئتَ من النعمى فتلبسها ... فانت في مأمنٍ من غائل الحسدِ
ابقاك رب العلى كالشمس في فلكٍ ... ترمي اشعَّة انوارٍ الى الابدِ

الاخ نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

العاشر : رثاء

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر الراهب اللبناني
وقد أقترح عليهِ

صوتٌ ينادي في البادِ بَدَارِ ... هيّوا الى عمل الحساب الجاري
أنّا لردِّ الموت لا هذا حيلةٌ ... فالموت سيفٌ حاصدُ الاعمارِ
من ذا يردُّ حياة من فتكت بهِ ... ايدي المنون سوى العلي القهّارِ
فالموت صار حقيقةً معلومةً ... وزمانهُ سرٌّ من الاسرارِ
فبأ ترى نفدي الفقيد أيفتدى ... بالمالِ او بالجاهِ او بعقارِ
يا ما اشدّ الحزن في قلب امرء ... لعبت بهِ لُعَبًا يدُ الاكدارِ
في مصرَ يوسف اذ رأى اخوانهُ ... يأتونهُ من شاسع الامصارِ

قد قال يوسفُ يا أشقّةُ هل بنيتين حيٌّ بعدُ في الاديارِ
ماذا نجيبُ متى يُسائلُ يوسفٌ عن ضاهرِ الّا بـدمع جارِ
يا وردةٌ بسقت وبلّلها الندى قُطعت بصمصام الردى البتّارِ
قد كنتَ نورًا فاضمحلَّ ولا يُرى لك بعـد ذا أثرٌ من الآثارِ

***

كتبت يدُ الارزاء فوق جبيننا « ما هذه الدنيا بدارِ قرارِ »
انّا خُلقنـا للجنان ولم نكن لنقيم في وادي الشقا الغرّارِ
ان المسافر اذ يحـلُّ بارضهِ يرتاحُ بعـد تكبّد الاسفارِ
بُعدُ الطريق يهول لكن قربها سهلٌ وقد يخلو من الاخطارِ

***

لا تبكينَّ عـلى الفقيد فانهُ لبّى لدعوة ربّـهِ التقّارِ
لا تبكينَّ عليهِ اذ هو قائمٌ من حول عرش الخالق الجبّارِ
لا تبكينَّ على نضارة عمرهِ فهو النضيرُ الى مدى الادهارِ
اللهُ يرغبُ في الاوائل راضياً عنها كما قد جاء في الاسفارِ
اني اعزّي كلَّ قلبٍ خاتمـاً قولي بقول الشاعر المختـارِ
« جاورتُ احبابي وجاور ربّهُ شتّان بين جوارهِ وجوارِي »

الاب نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

الحادي عشر : قصيدة

نظمها الاستاذ شاكر ابو ناضر (الاب نعمة الله) اذ ، كان علانيًا ، منشأ جا السلطان عبد الحميد بيد جلوسهِ الفضيّ ، تنقلها عن الاصل الذي هو بخط ناظمها وهي :

سألَ النسيمُ شقيقهُ أينَ ذكاء سحرًا باخصب روضةٍ غنّاء
أفثلنا احدٌ وقـد زدنا الورى بـنى ذُكائك دهشةً وذكائي
فأجابهُ مهـلًا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد يزينُ كلَّ سناء

***

سألَ الصباحُ اخاهُ بدرَ التمِّ في اسمى المنازل وهو عنهُ مختفِ
أفثلنا احـدٌ وبعضُ جمالنا منهُ أستعير سنى الجمال اليوسفي
فأجابـهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ عبد الحميد وقد بدا في الموقفِ

***

سألَ الغديرُ اخاهُ غصنَ البانِ والعندليبَ موقـع الالحانِ
أفثلنا احـدٌ وانّا لم نزل روحَ الجنانِ وراحةَ الانسانِ
فأجابهُ مهـلًا ألستَ بناظرٍ عبد الحميد مروّحَ الاذهـانِ

***

سألَ الهزارُ اخاهُ أطربَ عودٍ وقتَ الصفاء بمجلسٍ معقودِ
أفثلنا في الكائنات وانـنـا لنذكّرُ الانسانَ بالمعبودِ
فأجابـهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد سعيـدَ كلّ سعودِ

***

سألَ الربيعُ اخاهُ زهرَ الوادي وهما حليفـا إلفةٍ ووداد
أفثلنا في الكائناتِ وانـنـا لهوى الحـانِ ومنيةُ الزهّادِ
فأجابهُ مهلًا ألستَ بنـاظرٍ عبد الحميد بحلّةِ الاعيـادِ

***

سألَ السحابُ أخاهُ نوءَ الطرفِ وعليهما تثني الربى بالعرفِ
أفثلنا احـدٌ وانّا لم نزل نُحيي الرياض من الجفاف بوكفِ
فأجابـهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد يُريكَ بسط الكفِّ

***

سألَ الهلالُ عروسهُ الزهراء وهما يطوفـان السماء سراة
أفثلنا احـدٌ وانّا وحدنا نسع الفضاء لطافـةٌ وضياء
فأجابت اقصرْ هل عيونك لا ترى عبدَ الحميد وقد علا الجوزاء

***

سألَ المثقّفُ يعربَ كلَّ حسامٍ وهما قضيا حدّةٍ وضرامِ
أفثلنا احدٌ وليس بغيرنا شقُّ الصدور وفلقُ كلِّ الهامِ
فأجابهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد مذلّلَ الضرغامِ

∴

سألَ الفضاء معلّقات شموسهِ تلك النشاوى من رحيقِ كؤوسهِ
أفثلنا احدٌ وانّا لم نزل في الكون حليتهُ وحليَ عروسهِ
فأجابت أقصرْ واستعدَّ لكي ترى عبدَ الحميدِ نهار عيد جلوسهِ

∴

سأل الزمانُ مغالق الاسرارِ في خفيةٍ عن عالمِ الانوارِ
أفثلنا شيءٌ وانّا لم نزل شغلَ القلوب وحيرةَ الافكارِ
فأجابت أقصرْ يا عزيزُ ألا ترى عبدَ الحميد منفّذَ الاقدارِ

∴

سأل اللجينُ التبرَ عند عشيرٍ وهما لقرّة عينِ كلِّ غنيرٍ
أفثلنا احدٌ ولولانا انقضى فخرُ الزمانِ وذلَّ كلُّ سريرٍ
فأجابهُ كلّا اذا نلنا رضى عبدَ الحميد بعيدهِ الفضيرِ

∴

حسبي وحسبك ان تطولَ حياتنا عزًّا لخدمة عيدهِ الذهبيّ
وتظلَّ نخدمهُ ونخدمُ مَن لهُ يدعو بنيلِ الموسم الدريّ

شاكر ابو ناضر

انتهى

الثاني عشر : فروض التهاني [1]

مرفوعة الى اعتاب السيد السند والقطب الاوحد
غبطة البطريرك الياس الحويك الكلي الطوبى
بمناسبة قدومه الميمون من الديمان الى بكركي
لا زال محفوفاً بالمجد ومحفوظاً بالسعد
١ ت ٢ سنة ١٩٠٩

حقيقٌ بترحاب الحورنق قادمُهْ ... تساوى بتيجان الملوك عمائمُهْ
نأى فادلهمَّ الجوُّ واعتكر الدجى ... وأقبل في يوم توَلَّت غمائمه
واذ همَّ بالعود اكفهرَّ السهى شجىً ... وفوق سما الديمان بانت علائمه
وقد ضحك المرّيخُ عند قدومهِ ... وحلّت روابي كروانَ مباسمه
وسحَّ نسقي الزهر دمعُ سحابةٍ ... فأبدت لهُ حسن ابتسام كاظمه
ولا حرجٌ ان قلت أحيا ربوعنا ... ألا انهُ إلياسُ والقطرُ خادمه
ولا تعجبوا ان سُرَّ قلبٌ بسيّدٍ ... هو القلب في جسم الكرام ملاحمهْ
تَزول دواعي الترّهات واهلها ... به فهو مولى كلّ امرٍ وحازمه
غدا رأس قومٍ بالمفاخر مفتدٍ ... وقى اللهُ ان عادى وهاجت ضراغمه
لهُ في حمى لبنانَ برجٌ محصَّنٌ ... تقيهِ معرَّاتِ الاعادي مكارمه
ألا خفْ من المولى الذي غلب التقى ... عليهِ وخوفُ الله ظلٌّ يلازمه
فان على الحق المبين اساسهُ ... ومن جوهر الصدق الكريم دعائمه
مشاربهُ من مورد الدين رُوّقت ... ومن معدن العلم الصحيح مغانمه
وذكرُ ايادي بهِ يكنُّ معيدها ... ودرُّ معانيهِ يُقصّرُ ناظمه

[1] نظمها اذ كان استاذ اللغة العربية في مدرسة دير سيدة نسبيه – غسطا – ونلاها احد الاخوة الدارسين بحضرة السيد البطريرك . واتفق ان كان حاضراً في بكركي المرحوم الشيخ فيليب الخازن صاحب جريدة « الارز » في جونيه فسمها واعجبته فاخذها وطبعها بطبعته على حدة .

اليك أبا الحق المفدّى قوافياً لها قسمَ الصدقُ الممحّصُ قاسمه
شداها خليُّ البال من كلّ غمّةٍ وقد بات يُبلى بالتخرُّص لاثمه
يهنّيْ هذا المعهدَ العاليَ الذرى باقبال من طابت وجلّت مواسمه
فلا زال عينَ الافضلين وقلبهم تخاف عواديهِ الردى فتسالمه
فهذا قليلٌ من كثيرٍ أبنتهُ وما يكتمُ الوجدانُ فالله عالمهْ

ولد غبطتكم

القس نعمة الله ابو ناضر

الثالث عشر : قصيدة

نظمها الاب نعمة الله ابو ناضر اذ كان كاتم اسرار قدس الرئيس العام الاباتي احناديوس بركيس . وقد اقترحها عليه مدير مدرسة دير سيّدة النصر نسيبه – غلطا – لتتلى بمناسبة تشريف المثلث الرحمة المطران يوسف صفر الثائب البطريركي دير نسيبه المذكور لانالة بعض الاخوة التلامذة الدرجات الكهنوتية . وهذه هي :

ترنو الديارُ بمطفٍ مأسٍ للقاء حبرٍ ظاهر الايناسِ
تهتزُّ من طربٍ لذاك تظنُّها مذ جاءها في بهجة الاعراسِ
وتضجُّ تأهيلاً بهِ لما بدا يزهو بحلّة عندمٍ في آسِ
عبقت طيوبُ المسكِ في ارجائنا لمّا حباها طيبُ الانفاسِ
وكسا المعاهد رونقاً فترنّحت لقدومهِ بضارب الاجراسِ
اهلاً بحبرٍ زارنا فشفى الضنى لقياهُ ، اهلاً بالطبيب الآسي
كاسي الشواعر بالبديع وحسنهِ فكلامهُ يحكي حُباب الكاسِ
لمّا أطلّ ولاح فينا خلتهُ يعلو أكفّ ملائكٍ حرّاسِ
حبرٌ لهُ من اصغريهِ جوهرٌ بخل الزمانُ بمثلهِ في الناسِ
متصدّرٌ في المنتدى فكأنهُ م اتخذ الصدارة من بني المبأسِ
ورواؤهُ يحكي ملاحةَ يوسفٍ ونشاطهُ يرويهِ عن فنحاسِ
راسي على عرش الكرامة اذ لهُ م الايدي مواطي والقلوبُ كراسي

ذو فكرةٍ ابأن يُقدحُ زندها تغني الورى عن شملة النبراس
ذو طلعةٍ تزري بتاج فوقها متوضعٍ بفرائد الالماس
كملت فضائلهُ فأضحى بيننا متصرفاً بذخائر الاقداس
فوداده في القلب فحن شغافهِ ومقامهُ قد حلَّ فوق الراس

الرابع عشر : قصيدة

من نظم شاكر ابو ناضر في مطلع شبابه[1]

يا لائمي في لهفتي ونواحي أقصرْ فديتك تغتنم تمداحي
اخطأتَ ظنك بالذي اتخذ الهوى ديناً وعاف خزعبلات اللاحي
لو كنت تعلمُ ما حملتُ من الجوى لعدلتَ عمَّا شئتَ من اصلاحي
شتَّان بين اخي نهىً سكرانَ من راح الصبابة ، والجليّ الصاحي
فهو الجمادُ أصمُّ أبكمُ ميّتٌ وانا الحياة ربيعةُ الأرواح
نحل الهوى فيَّ الهيولىَّ الذي ولّى فجسمي في الهوى البجاح
ان شئتَ ادراكي فاني جوهرٌ فردٌ طرحتُ عوارضَ الاشباح
دع عنك ظاهر ما ترى وارفع م سجوف الباطن القاصي المدى البجاح
فهناك تنكشف الامور وتفهم المعنى م الحقيقَ بأنّني وصياحي
وهناك تعدلُ عن ملامكَ آئلاً الّا تعود بمُنزلِ الألواح
وهناك تسكرُ من مشتة الهوى وتغيبُ فيك اشعة الاقداح
فاذا نطقتَ نطقتَ من آياتها سحراً يفوقُ مدارك الشرّاح
الطف بحالي الآن حال اخي هوىً مأسور اشراك النوى نوّاح
خلع العذار وهام وهو متيَّمٌ بجمال اهل وداده الفضّاح

[1] رأيتُ هذه القصيدة بين اوراق استاذي الاب نعمة الله ابو ناضر اذ كنتُ ادرس عليه في دير سيّدة المونات – جبيل – وهي من نظمهِ اذ كان علانيًا وبخطهِ فأخذتُها من حيث لا يدري ونسختُها وأعدتُها الى مكانها في غرفتهِ .

يا اهل ودّي ان انتم عن فتًى شاكٍ بنٌ وواجدٍ ملتاح
لعبت تباريح الغرام بلبّهِ وهل الغرام مؤاخذٌ بجناح ؟
في قلبهِ جرح على اثر النحيب م ضماده اعيَ قوى الجرّاح
هو جاهدٌ تحت العجاج يطاعنُ م الهامات في الابطال بين رداح
هو كلّ يومٍ في عراكٍ صدرهُ هدفُ السهام ومضربُ الأرماح
هو طائرٌ ملأ الفضاء صياحهُ لكنّهُ اضحى بغير جناح
هو في بحار الحبّ صار سفينةً لكنّها خلوٌ عن الملّاح
صدمت بها امواجهُ ولقد بدت الواحها العوبة الارياح
فتهتّكت آثارهُ وتبيّنت اسرارهُ في ليلة الاتراح
شرب الغرام مرارةً فلذاك لا يدري فؤادهُ لذّة الافراح
امسى بنٌ ويندب البلوى وما ذهبت بهِ من عيشهِ الرحراح
« قد حدّثتهُ النفسُ انهُ متلفٌ » فمتى لامرٍ برجيعهِ متاح
مثل الفراش صبًا الى الاضواء وهو م يطوف حول زجاجة المصباح
فقضى حقوق هواهُ مذ افضت الى الاحراق فيهِ نتيجة الالحاح
يا سامعين تأوهي رقّوا لحالي م انني أُبليتُ بالايجاح
البعدُ جسمي والقطيعةُ صورتي والشوقُ سرّي والهيامُ وشاحي
بين المجلّى والمصلّى والمسلّى م عُدّت الاشواط للرتاح
لكنّ شوطي في الصبابة لا ابتداء م ولا انتهاء لحدّ الرحراح

.:.

لمّا جددت السير نحو احبّتي وركبتُ متن مطيّتي المجلاح
فكأنني في لجّة الايجار غولٌ م قد تسنّم غاربَ التسّاح
وكأنني جلمود صخرٍ قد علا في سفح صنينٍ ظهورَ جُلاح
اني لاسبقُ كلّ ريحٍ عاصفٍ في عثبة الاوعار والصحصاح
أنحو رُبى الاوطان وهي بعيدةٌ وانا مُجدٌّ في فلًا وبطاح

حتى احطَّ عصا الرحال واستريح ... مرحرحاً في مسرحي ومراحي
في سفح صنين ووديهِ وباكيش ... م وابواب الهوا الفيّاح
لي بين هاتيك الهضاب مشيرةٌ ... من كلّ عالي هضبةٍ طحطاح
من كلّ مكتحل العيون بهجتي ... يذري البدور بوجههِ الوضّاح
لي أهلُ ودٍّ قد شغفتُ بحبهم ... والى لقاء أحبّتي اطماحي
بحياة من تهوون رقّوا انكم ... لستم بانكار على شحّاح
حنَّ الفؤادُ اليكمُ واليكمُ ... وجّهتُ حرَّ تنفّسي وصداحي
أمسي وأصبح والحنانُ مصاحبي ... وأنوح عند عشيّتي وصباحي
فهواكمُ فيهِ الحياة وذكركم ... هو عدّتي في محنتي وسلاحي
ولقد وقفتُ اكم حشاشة مدنفٍ ... وربطت توفيقي بكم وصلاحي
مني لكم أذكى التحية ما شدا ... عبدٌ بذكر الخالق الفتّاح

شاكر ابو ناضر

(يتبع)